سلطنة عُمان

وزارة الاوقاف والشؤون الدينيّة

الندوة السنويّة

تطوّر العلوم الفقهيّة – فقه رؤية العالم والعيش فيه المذاهب الفقهيّة التجارب المعاصرة

خلال الفترة من ٦-٢٠١٣/٤/٩

# *مفهوم العهد و مفهوم الأمان و دار الاسلام*

يقدمه

فضيلة الشيخ الدكتور مصطفى إبراهيم تسيرتش

مفتي عام البوسنة والهرسك السابق

## المقدّمة

إن موضوع العهد والأمان ودار الاسلام من أهمّ الموضوعات التّى على علماء المسلمين أن يتناولونها بعناية بالغة لأنّ "مفهوم العهد و مفهوم الأمان و دار الإسلام" ليس أمراً مقيّدًا لزمن واحد ولا لجيل معيّن، بل هو أمرٌ لكل زمان و لكل جيل بأن يهتمّ به لأن فى مفهومه يتبلور تصوّرنا لرؤية العالم والعيش فيه المذاهب الفقهيّة التجارب المعاصرة.

هذا، فقد سررت بالاقتراح بأن أكتب مقالتى هذه و بهذه المناسبة السنويّة الفريدة الّتى بادرت بها سلطنة عُمان عن طريق وزارة الاوقاف والشؤون الدينيّة فى هذا الموضوع من منطلق فهمى الإسلامى و تجربتى الأوروبيّة المعاصرة. فى الحقيقة، فإنّ معنى "العهد و الأمان و دار الإسلام" يدور فى ذهنى منذ زمن طويل وذلك فى سياق

تحدّيات الإسلام والمسلمين فى أوروبا الّتى يعرّفها البعض بأنّها "دار حرب" والآخر يقولون أنّها "دار إسلام" او ما شابه ذلك. إنّه لشرف عظيم لى بأن أحدّثكم فى هذا المقام عن هذ الموضوع فأقول: إنّ أوروبا ليست "دار إسلام"، لكنّها ليست "دار حرب"، بل هى "دار عقد" أى اوروبا هى "دار العقد الاجتماعى على أساس المبادئ التي يقبل بموجبها الأفراد الأحرار العاقلين ــ وهم يرغبون بتحقيق مصالحهم الذاتية ــ نقطة الانطلاق المتمثلة بالمساواة على أنها تحديد للنقاط الأساسية لتضامنهم".

إذن، وسأحاول، بمشية الله، فى هذه المقالة أن أوضح الفرق بين معنى العهد و العقد و سأعرض أصول الأمان فى الاسلام و سأقدم رؤيتى لمفهوم دار الإسلام فى سياق الحياة الأوروبيّة السياسيّة والثقافيّة للمسلمين الأوروبيّين فى الحاضر و المستقبل.

١- مفهوم العهد

إن السؤال الأكثر تحديا الذي يواجهه المسلمون اليوم هو: كيف يمكننا أن نشارك بفاعلية وإخلاص في مجتمع ديمقراطي؟ في الواقع، هذا السؤال يطرح سؤالا أعمق من ذلك بكثير، يتعلق بعلاقة الإنسان بالله وعلاقة الإنسان بالإنسان، وفي جوهره قلب الوجود الإنساني. لذلك، وبقدر ما تتحدث الرسالة الإلهية عن الله، فإنها تتحدث أيضا عن علاقة الإنسان بالله وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان. وكما بين ذلك البروفسور فضل الرحمن: "القرآن وثيقة تستهدف الإنسان بشكل مباشر، ومن أسماء القرآن "هدى للناس[١]". إنها "الهداية" التي نحتاجها اليوم من أجل العثور على إجابات عن الأسئلة التي تثقل كاهل الإنسان في جميع نواحي وجوده الدنيوي: "من نحن؟ أين نحن؟ من أين جئنا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟".

قد يجد المسلمون الإجابات عن هذه الأسئلة على مستوى الضمير الفردي في العقيدة ويحتوي هذا على مبدأين: مبدأ الله، خالق الكون، ومبدأ رسول الله صلى الله

[١] Qur'an, ٢:١٨٥; Fazlur Rahman, "Major Themes of the Qur'an", *Biblioteca Islamica* (Chicago, ١٩٨٠), p. ١.

عليه وسلم. وعند أهل الإيمان هو الاعتقاد الديني بمعنى استمرارية الذاكرة التي تحدد هوية الإنسان بمعنى علمه: من أين أتى، وإلى أين هو ذاهب.

لكن، وبقدر أهمية العقيدة بالنسبة لهوية الإنسان، فإن العقيدة تذهب أبعد من ذلك، وهي مختلفة عن مصطلح "الهوية" الذي نعني به عادة الانتماء العرقي أو الوطني أو الإثني أو الجنسي. إن العقيدة الدينية تتجاوز الحدود الفردية بمعنى كونها عالمية في المعنى، وتحتوي في داخلها فكرة الوجود الكاملة عن الله والإنسان والجماعة والمجتمع.

وبالتالي، فإن الانتقال من المعتقد إلى الوعي الجماعي عند المسلمين، هو واحد من المهام الأكثر تحديا التي نواجهها اليوم. من هم المسلمون؟ أفراد متفرقون أقوياء في العقيدة، أم جماعة محترمة ذات إرادة جماعية قوية؟ وأين هم المسلمون – هل هم في عالم العزلة أم عالم الاندماج؟ يجب أن نبحث عن الإجابات في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. في الواقع، يجب علينا أن نصل إلى مواجهة مباشرة مع معنى الشريعة، بدلا من النظر إليها من خلال تفسيرات عفا عليها الزمن، وحتى نبذل الجهد للتعامل المباشر مع الشريعة لا بد لنا أن نتعلم كيف نقدرها حق قدرها. يقول جاي إيتون: "كلمة شريعة تعني – 'الطريق أو الطريق السريع' لكن اشتقاقها يتعلق بالدرب الذي عبدته الحيوانات البرية وهي ترِد مَناهِل مياه الشرب. إنها الطريق التي تؤدي إلى حيث تتدفق مياه الحياة التي لا تنضب".[٢]

وبعبارة أخرى، فإن الشريعة هي المصدر الذي لا ينضب من الهدي الإلهي للبشرية. وهي في متناول الإنسان، مثلها مثل أي مادة أخرى أعطاها الله للإنسان للحفاظ على حياته. والأمر متروك للإنسان كي يجد في الشريعة ما يحتاج ليحقق لنفسه الخير والفائدة، ليس بمعنى النزوات بل بمعنى الحقيقة وتحقيق الصحة العقلية والعدالة لنفسه ولمجتمعه. إن الله ليس بحاجة للإنسان ليقول له ما الذي يفعله، لكن الإنسان بحاجة إلى الله ليعلمه كيف يعيش {لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ [الأنبياء:٢]}.

[٢] Gai Eaton, *Islam and the Destiny* (Cambridge: The Islamic Text Society, ١٩٩٧(, p. ١٨٠.

وهكذا، يجب على الإنسان أن يمارس فقه الشريعة ويفهمها، ومرة أخرى نستشهد بقول جاي إيتون: "عادة ما تترجم كلمة 'الفقه' إلى الإنكليزية 'Jurisprudence'، وهي تأتي في العربية من فعل فقه، وتعني لا أكثر ولا أقل من كونه 'فَهِمَ'. فالفقه إذا يرتبط بفهم الأوامر الإلهية وتشعباتها في نسيج الحياة اليومية... وبالنسبة للمسلم فإن تبلور رسالة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتحولها إلى مجموعة من القوانين الملائمة للعيش كان هو المغامرة العليا. الإسلام هو "الاستسلام" لإرادة الله، وإن دراسة هذه الإرادة الخارقة، هي الدراسة الأكثر أهمية المفتوحة للإنسان باعتباره مخلوقا يتمتع بموهبة العقل والتدبر. وعلاوة على ذلك فإن القانون ينظم فن العيش المشترك. وفي أوسع معانيه هو علم العلاقات البشرية"[٣].

في الحقيقة، فإن الشريعة الاسلاميّة هي العهدُ الإلهىُّ الخاتمُ، بعد العهد القديم (التوراة) والعهد الجديد (الإنجيل). إنه ليس فقط من حق المسلمين لهم تذكير أتباع العهدين القديم والجديد، بل ومن واجبهم أن يعززوا المفهوم الشامل للجماعة (*Gemeinschaft*) القائم على العهد، والمجتمع (*Gesellschaft*)، القائم على العقد. إنها الحقيقة بأن الجماعة المسلمة مرتبطة بعهدها مع الله عز وجل، المصاغ في شكل الشريعة ومضمونها، لدفع وتعزيز المجتمع القائم على العقد الاجتماعي الذي يحترم حقوق الإنسان لجميع البشر أينما كانوا ويدافع عنها.

يجب على المسلمين أن لا يكتفوا فقط بالتركيز على معتقداتهم الشخصية (العقيدة)، والتفاخر بكمال القانون الإلهي (الشريعة). بل يجب عليهم أيضا أن يُظهروا قدرتهم على المشاركة في مجتمع يقوم على عقد مبرم مع الحكومة ومع المجتمع على حد سواء. إن الذين يمتلكون المعرفة والرغبة في توجيه المسلمين نحو تطوير مفهوم العقد الاجتماعي الإسلامي في أوروبا يجب عليهم أن يؤدوا الحق في تطوير مفهوم

[٣] Ibid, pp. ١٨٠-١٨١.

الحياة المدنية عند المسلمين القائم على الإسلام وقيمه الأخلاقية، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى تحقيق التعددية الثقافية الحقيقية.

لذا، يتعين على المسلمين اليوم، وهم يسعون لتطوير العقد الاجتماعي الإسلامي في أوروبا، أن يجدوا الجواب الصحيح على سؤال: كيف يمكن للمسلمين المشاركة بفاعلية وإخلاص في المجتمع الديمقراطي؟

إنني لم أجد مصطلح "العقد الاجتماعي الإسلامي" في مراجع المسلمين الكلاسيكية، بل هو مصطلح اقترضته لتعيين قراءتي الشخصية في التراث الإسلامي من أجل اكتشاف ثرواته وتطوير مفهوم العقد الاجتماعي الإسلامي في أوروبا.

إنني أريد أن أثبت بأن إيمان المسلم وشهادة المسلم، ودين المسلم، وعقيدة المسلم، هي القوى الدافعة للوظيفة الاندماجية عند الفرد المسلم والمجتمع المسلم على حد سواء.

إن مصطلح (الإيمان) يعني الأمان الداخلي للروح، التي تتذكر أن الله، بعد أن أخذ من ظهور بني آدم جميع أجيال البشرية، وسألهم {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} فأجابوا: {بلى}. كان ذلك هو العهد الأول بالاعتراف المتبادل بين الله والانسان، فأنتج الأمانة المتبادلة بين الله والإنسان، القائمة على اعتراف الرجل الصادق (الشهادة). ولا وجود للاعتراف الصادق (الشهادة) بدون إيمان حقيقي، ولا وجود للإيمان الصادق بدون اعتراف حقيقي. إن هذا الترابط بين الإيمان باعتباره هدية من الله، والشهادة بوصفها إرادة الإنسان الجوهرية، هو أساس الدين – تلك القوة الدافعة لوظيفة الجماعة المسلمة الاندماجية. إن أخر آية قرآنية أنزلت: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا}، هي مؤشر واضح على أن الإسلام دين أوسع من الإيمان الشخصي والشهادة الشخصية. إن الدين هو الرباط المتبادل بين أعضاء الجسد الواحد المستمد من عهد الإيمان للشهادة السابقة والشهادة اللاحقة. فالشهادة السابقة هي أول اعتراف من ذرية آدم بالنيابة عن البشرية جمعاء، والشهادة اللاحقة هي الاعتراف

الأول من كل شخص يدرك حقيقة الاعتراف السابق. ويسمى هذا الشخص بالمسلم، وهذا يعني الشخص الذي يتذكر الاعتراف السابق (الشهادة) باعتبارها ملكا له، ويأتي بالاعتراف اللاحق مؤكدا به التزامه الشخصي بدين الإسلام، وهذا يعني دين الاستسلام لإرادة الله، طوعا أو كرها، كما جاء في القرآن الكريم:{أفغير دين الله يبغون *وله أسلم* من في السماوات *والأرض* طوعا وكرها وإليه يرجعون}.

وهكذا، فإن كلمة الدين هي المفهوم الأقرب إلى فكرة التعويض المتبادل: "كما تدين تُدان". وبموجب فكرة هذا التعويض المتبادل يجب علينا أن نفهم ما يقوله الشهرستاني عن معنى الملة (المجتمع): "ولما كان نوع الإنسان محتاجا إلى اجتماع مع آخر من بني جنسه في إقامة معاشه، والاستعداد لمعاده، وذلك الاجتماع يجب أن يكون على شكل يحصل به التمانع والتعاون حتى يحفظ بالتمانع ما هو أهله، ويحصل بالتعاون ما ليس له، فصورة الاجتماع على هذه الهيئة هي الملة. والطريق الخاص الذي يوصل إلى هذه الهيئة هو المنهاج والشرعة والسنة. والاتفاق على تلك السنة هي الجماعة. قال الله تعالى: {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا}[٤]".

من ناحية أخرى، فإن كلمة عقيدة ، وجمعها عقائد، هي الأقرب إلى معنى العقد باعتباره اتفاقا أحادي الجانب أو ثنائي الجانب، أو وعدا بالقيام بشيء أو بعدم القيام بشيء. والكلمة العربية العقد (حرفيا "عقدة")، هي مصطلح جذره "عقد" وجمعه "عقود" وكذلك مصطلح العقيدة، يعني كل الالتزامات الأحادية الجانب والثنائية الجانب. إذا كان الواجبات أمرا من الله، فهي التزامات من جانب واحد، لكن إذا أُمليت من قبل البشر، فهي ثنائية الجانب، ويجب أن تكون متفقة مع أحكام الدين ومبادئه الأخلاقية.

بناء على ما قيل، يمكننا أن نستنتج أن جوهر عقيدة المسلم التي تقوم على فكرة الإيمان، والشهادة، والدين، والعقيدة، تحتوي على أسس العهد التي ترمز الى الالتزام الذاتي كما جاء في القرآن الكريم: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ

[٤] أبو الفتح الشهرستاني، *كتاب الملل والنحل*، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٢، ص:٥١

تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}. فضلا عن أن التزام الإنسان تجاه الله ناشئ عن أمر الله وقبول الإنسان، كما هو مكتوب في القرآن الكريم: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}.

وبالتالي، بات واضحا أن الإسلام هو دين العهد مع الله. لذا، فإن المسلمين هم أمة العقد مع الإنسان، ولذلك ينبغي لنا ألا نستغرب عندما نسمع الإمام الغزالي (ت ١١١١) قد سبق الفلاسفة توماس هوبز (ت ١٦٧٩)، وجون لوك (ت ١٧٠٤)، وجان جاك روسو (ت ١٧٧٨)، في تعزيز مفهوم العقد الاجتماعي، حين قال: "يحتاج الإنسان للعيش في مجتمع، ليكون قادرا على أداء أعماله التطوعية ومعاملاته المربحة. إنه يحتاج إلى التعاون مع الآخرين من أجل تحصيل رزقه. انه يحتاج إلى ذلك التعاون في الدفاع المشترك لحماية نفسه وعائلته وممتلكاته ... والدفاع المشترك والتعاون يجب أن يكونا من أجل قضية عادلة وقانون شامل"[٥].

وبالتالي، فالإسلام قانون وأخلاق. ونقصد بالقانون مخطط النظام الاجتماعي الذي يحظر على أعضائه استخدام القوة الفردية لإصلاح الخطأ، ونعني بالأخلاق معرفة الإنسان وإرادته لقبول مبادئ الصواب والخطأ في السلوك. علاوة على ذلك، فإن قانون الإسلام هو أكثر من مجرد قانون ديني، بل هو عهدٌ من الله إلى الانسان و من الإنسان إلى الله شروطه غير قابلة للتفاوض أو الإلغاء، وهو عقدٌ من الإنسان إلى الإنسان إلى الله شروطه قابلة للتفاوض والإلغاء.

عليه، فإن ما يهمّنا هنا هو اللاهوت السياسي القائم على أسس الإسلام القانونية والأخلاقية. ومن الواضح أن هناك فرقا بين اللاهوت السياسي للإسلام، وبين الإسلام السياسي. فالأول هو مفهوم الحكمة السياسية، بينما الثاني فهو التفكير في أن يكون متطرفا سياسيا.

[٥] Eltigani Abdelgadir Hamid, *The Qur'an and Politics*, p. ١٧٩.

ليس الإسلام السياسي سببا لأن يكون هاجسنا في الشرق والغرب أن نختار عدم التركيز على ذلك، بل السبب يكمن في أننا نعتقد أن اللاهوت السياسي للإسلام هو التحدي في عصرنا. إن اللاهوت السياسي للإسلام الذي نتحدث عنه، قريب من الفلسفة السياسية، لكنه بعيد عن الخيال السياسي الذي ليس له صلة بأي شيء سياسي هنا والآن؛ إنه قريب من الواقعية السياسية، وبعيد عن الاعتراف بالتطبيق السياسي بسهولة بالغة. النقطة هنا هي أنه على الرغم من كون المسلمين الرابطة الدينية الأكثر توحدا عقائديا وتطبيقيا، إلا أنهم مع ذلك، المجموعة الأقل اشتغالا بالسياسة نظريا وعالميا. بينما نجد أن أوروبا متحدة سياسيا على الرغم من التنوع في معتقداتها وممارساتها الدينية.

إذن، عندما يتعلق الأمر بالإسلام، فإن القضية الحقيقية، ليست فقط في أوروبا، بل في العالم الإسلامي أيضا، وليس الأمر متعلقا بنقاء العقيدة الإسلامية بل وبحصافة الفكر السياسي وطبيعة السلطة السياسية. لا يوجد مسلم عاقل لا يفهم فكرة التوحيد وحجة كون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء. لكن لا يوجد أيضا مسلم عاقل قادر على فهم النزاعات السياسية الدامية التي يشارك فيها المسلمون. وبالرغم من وجاهة التعليل بأن الفوضى السياسية عند المسلمين ترجع في جزء منها إلى الاستعمار الغربي، إلا أن المسلمين يجب أن يدركوا أنهم مسؤولون عن تأمين حقوقهم من خلال حماية حقوق الآخرين. إن تعليل النفس بفكرة الضحية قد ترضي بعض المسلمين الذين يحاولون تبرير ظروف معينة في مجتمعهم، لكن ذلك لن يقدم لنا الجواب الصادق عن السبب الحقيقي لعلّتنا، من هم المسلمون وما الذي يجب عليهم فعله للمساعدة في تغيير العالم نحو الأفضل.

ومن المعلوم أنّ رسالة رسول الله وخاتم النبياء، لم تكن ابتكارا لإيمان جديد، بل هي تصديق للحقيقة ودمج للغيبي بالظاهرى، لتؤكد للإنسان أن له هدفا أبعد من نفسه. كانت

مهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا أن ينشئ مجتمعا يمكنه أن يلعب دور التاريخ الإيجابي والقوة الاندماجية. إن الإسلام قادر دائما على تحقيق التوازن بين العناصر التي تبدو متنافرة فيما بينها، مما يجعله قوة جذابة وشمولية. إن هذا ليس صحيحا فقط فيما يتعلق بالنظرة اللاهوتية أو الميتافيزيقية للكون، بل فيما يتعلق بالعمل التاريخي أو السياسي. إن الجمع بين الدنيا والآخرة مشتق من المصدر الإلهي، لكن المفهوم اللاهوتي لذلك إنما هو من فعل الإنسان. لذا، فإن فعل الدمج والتوازن ليس فكرة عارضة، بل هو مفهوم إلهي جوهري يمكن على أساسه صناعة النماذج البشرية. وبعبارة أخرى، فإن مبدأ التكامل بين الدنيا والآخرة هو النموذج الذي يدعو إلى اندماج جميع الأمور المتطرفة التي تحطم التوازن الكلي. هكذا، وبما أن الإسلام هو القوة الاندماجية بين القيم المتعلق بعضها ببعض بقوة، فإن المسلم عنصر اندماجي بين الحقائق التي تبدوا مترابطة فيما بينها. هذا يجعلنا نفهم بوضوح لماذا منحت الجماعة المسلمة دور المركز الاندماجي في التاريخ، كما جاء في القرآن الكريم:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...}.

وهذا يعطي الجماعة المسلمة دور العنصر الفاعل بدلا من أن تبقى شاهدا سلبيا. وهذا هو ما تعنيه الأمة: مجتمع عالمي يقع في وسط الشؤون العالمية، ويؤدي مهمة فاعلة في ربط وجذب ودمج العظمة الإلهية بهذا التنوع البشري الذي لا يحصى. وعلاوة على ذلك، فإن الأمة لديها مهمة ربط وجذب ودمج العناصر المتشابهة في الرسالة الإلهية لآدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، عليهم الصلاة والسلام، في مفهوم المصير المشترك للإنسان الذي يقوم على العهد الملزم أخلاقيا والعقد القابل للتطبيق قانونيا. وفي الحقيقة، إن الأمة المسلمة اليوم لديها فرصة تاريخية لإحداث نوع من لمّ شمل التراثات الإبراهيمية التي تشترك في كلمة سواء ومصير مشترك. لذا، ينبغي التعامل بجدية مع مبادرة المسلمين الأخيرة "كلمة سواء بيننا بينكم"،

وتطويرها لتصبح مبادرة الحس العام للبشرية. وفي الحقيقة، يجب على المسلمين أن يعملوا في صورة قوة اندماجية في عالمنا المجزأ، وشهود فاعلين في التاريخ. هذا واجبهم العقائدي وحقهم التاريخي. أما واجبهم فيستند إلى عقيدة الموقع الوسط، التي تتطلب مقاربة متوازنة لجميع جوانب الحياة البشرية مما يؤدي إلى جمع كل الخير في العالم. وأما حقهم فيستند إلى الحقيقة التاريخية بأنهم جمعوا الفكر الإنساني، حيث نراهم في القرن الثامن الميلادي في بغداد قد ترجموا مؤلفات الفلسفة اليونانية. وجاءت بعد ذلك قرطبة في أسبانيا المسلمة، ليواصل المسلمون أداء دورهم الجامع، لا سيما في جمع الفلسفة العقلانية من خلال أعمال ابن رشد في القرن الثاني عشر الميلادي، والتي كانت نتائجها حافزا لعصري الإنسانية والنهضة في أوروبا. وقد شهد الاندماج الثقافي الغربي – الإسلامي بعض أكثر مستوياته إنتاجا في القرنين أو الثلاثة الماضية، ومن المثير أن المبادرة قد جاءت من الغرب، عندما افتتحت كبريات الجامعات الغربية أقساما للدراسات الشرقية أي لدراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية في أوسع معنى للكلمة. وبفضل الدراسات الشرقية في الغرب توجد اليوم إنجازات قيّمة عن الثقافة الإسلامية، ليس للغرب وحسب، بل وللإسلام. إن أعمالا مثل موسوعة الإسلام، وفهرس الأحاديث، إضافة إلى إنتاج وترجمة المؤلفات الإسلامية اللاهوتية والفلسفية الأساسية المتاحة للمجتمع الأكاديمي في الغرب، تقدم دليلا قاطعا على الإسهام الغربي في تطوير الاندماج الثقافي الغربي الإسلامي.

وبالتالي لدينا نمط من المسلمين الذين يشكلون القوة الاندماجية والشاهد التاريخي على التقدم الفكري الإنساني، وإن بغداد وقرطبة تزودانا بالكثير من الأمثلة على ذلك عندما كانتا تنشطان بوضوح. ومع ذلك، لدينا أيضا أمثلة على المسلمين الذين يجري دمجهم في التطورات الثقافية التي أنجزها الغرب، عندما أصبحوا سلبيين بشكل ملحوظ. وفي اعتقادي أن المسلمين اليوم باتوا يجربون ظاهرة بأن يكونوا في وقت واحد

اندماجيين ومندمجين. أما الاندماجيون فهم أولئك الذين يطلبون العلم "حتى لو كان في الصين"، أما المندمجين فهم لا يفعلون إلا القليل وغالبا ما نراهم يشتكون من الجميع ومن كل شيء، ولا يقومون إلا بما يجلب لهم المنافع الشخصية. إن المسلمين في أوروبا لديهم فرصة فريدة ليتفادوا أن يصبحوا مندمجين وأن يكونوا اندماجيين. لديهم الحرية – بالتزاماتهم الأخلاقية والقانونية – ليكونوا قوة اندماجية في أوروبا، يحكمها عهد ذي معايير أخلاقية سامية وعقد ذي قواعد قانونية ملموسة. ولا يمكن أن يتحقق السلام الحقيقي بدون أخلاق، والأخلاق لا تُصان إلا بالعهد. وكذلك، لا يوجد أمن بدون قانون، ولا يسود القانون إلا بعقد تأسس على العهد الذي يرتبط بالدستورية. إن جميع هذه القيم المتصلة بالحياة الاجتماعية الإنسانية مترابطة فيما بينها بطريقة تشير إلى ضرورة إدماجها في مجمل الوعي الإنساني. وهكذا، فإن الوسطية والتوفيق بين القرابة والموافقة، والجماعة والمجتمع ( *gemeinschaft* و *gesellschaft*)، والفرد والمجتمع، والحقوق والواجبات، والمطالب والردود، والحق والخير، كلها أساسيات بالنسبة لنا كي نفهم أن القانون لا يمكن أن يكون مجرد "إرادة الإنسان" (هوبس Hobbes)، ولا يمكن أن يكون مجرد "العقل البشري" (Locke)، ولا يمكن أن يكون مجرد "الإرادة والعقل" (روسو)، ولا يمكن أن يكون مجرد "الحرية" (كانت)، بل إضافة إلى هذا يجب أن يكون هناك قانون أعلى وأوسع من "إرادة" الإنسان، و"عقل" الإنسان، و"حرية" الإنسان، يجب أن يكون هناك Kierkegaardian "قفزة الإيمان"، ويجب أن يكون هناك "الشعور الجماعي" الذي يسميه ابن خلدون "العصبيّة" وكما قال تشارلز كولي: "يعيش المرء في شعور جامع ويرى الأهداف الرئيسة لإرادته في هذا الشعور". وهكذا، فإن رباط القرابة هي مسألة "شعور" بين الأقارب موثق برباط الدم، في حين أن رباط التوافق هو مسألة "الإيمان" بين العقلاء موثق بالالتزام الأخلاقي: "لا تفعل بالآخر ما لا تفعله بنفسك" – هو واجب أخلاقي عالمي مشترك بين التراثات اليهودية

والمسيحية والإسلامية مع اختلاف طفيف في التركيز على حتمية السلبية أو الإيجابية: "افعل بالآخر، ما يمكن أن تفعل بنفسك"، ("لا يؤمن أحدكم (حق الإيمان) حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" [أخرجه البخاري]. وبالرغم من أن الوعود الأخلاقية ليست دائما كافية بدون شيء من المصلحة، إلا أنّ هذه المصلحة الذاتية يجب أن تكون ضمن إطار أخلاقي.

وهاتان الفرضيتان (القرابة والموافقة) هما الزخرفة الاندماجية (الوسطية) للوصول إلى العقد الاجتماعي، بمعنى التقارب المشترك بسبب علاقة الدم، والالتزامات الأخلاقية المشتركة من أجل خير الجميع. إن المسلمين في أوروبا، في أوقات التهجم على دينهم، يميلون إلى التطبيق الشديد في سرد الموافقة القائمة على ارتباطات إيمانهم المشترك، ولكن عندما يتعلق الأمر بالشؤون المالية والأمور الدنيوية الأخرى، فإن رباط القرابة يكون أكثر انتشارا، ويرجع سبب ذلك كما يوضح فرديناند تونيس (Ferdinand Tönnies): "هناك درجات لعقلانية الإرادة الطبيعية للمجتمعات والجماعات التي تشكلها. وبالتالي ونظرا لأهمية العقلانية، فهناك مجموعات تقوم على الصداقة، وعلى الجوار، وعلى رابطة الدم. والجماعات التي تسودها الإرادة الطبيعية تتراوح بين أولئك الذين تربط بينهم العلاقات الفكرية إلى أولئك الذين تجمع بينهم روابط غريزية أو تعاطف بين الأفراد المتقاربين بيولوجيا. وبالتالي، فإن رجل الأعمال، والعالِم، وصاحب السلطان، وابن الطبقة العليا، يستندون إلى الإرادة العقلانية أكثر من الـمُزارع، والفنان، والناس العاديين، الذين يغلب عليهم الاستناد إلى الإرادة الطبيعية. وعموما، فإن النساء والشباب يستندون في الغالب إلى الإرادة الطبيعية، بينما يستند الرجال وكبار السن إلى الإرادة العقلانية"[٦].

[٦] Ferdinand Tönnies, *Community and Society*, (New York, Dover Publications, ٢٠٠٢), p. ٥.

لذا، فإن التحدي الحقيقي للمسلمين في أوروبا يكمن في قدرتهم على دمج تجمعاتهم القائمة "على القواعد المستندة إلى الدين من خلال المعتقدات والإيمان والمذاهب" مع المجتمع القائم "على قواعد الأخلاق التي يقرها الرأي العام الناشئ من المصالح المشتركة". إن هذا التفرع إلى نمط التجمع ونمط المجتمع هو أيضا الفكرة المركزية لمقدمة ابن خلدون المعروفة. وفي الواقع فإن تحليله لكلا النمطين يعتبر واحدا من أكثر التحليلات عمقا وتفصيلا وتوضيحا".

إننا نعتقد أن القوة الاندماجية (الوسطية) بين هذين النمطين من الجماعات هو سيادة القانون القائمة على العهد باعتباره "الخلفية، والأرضية، والمقدمة لأي عقد". وهكذا، فالله هناك ليس شريكا مع الرجل، فالشريك مع الرجل في الحقوق والواجبات هو رحمة الله التي كتبها على نفسه، كما جاء في القرآن الكريم: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}. لذا فإن العقد الاجتماعي عند المسلمين يقوم على حكم الله بالرحمة – العهد، وسيادة القانون – العقد الذي يكفل للجماعة المسلمة حقها بالمطالبة على الأقل بعدم التدخل في شؤونها الدينية والثقافية، وعلى الأكثر بالمطالبة بالاعتراف بها ودعم استقلاليتها الدينية والثقافية بسبب إسهامها المفيد لفائدة للصالح العام والمجتمع. وهنا نصل إلى نقطة الالتقاء بين الجماعة المسلمة والمجتمع المدني الأوروبي، مبدأ العهد الذي لم يفقد أبدا معناه الأصلي وأهميته، سواء في الحياة الأوروبية الأخلاقية أو السياسية، كما قال دانيال اليعازر (Daniel Elazar): "ومن المسلم به عموما وجود انقسام بين العصرين الحديث وما قبل الحديث. ونحن يمكننا أن نجادل في مدى الانقسام ودرجة الاستمرارية عبر الفجوة بين ما قبل العصر الحديث والعصر الحديث، لكن الحقيقة أن الانقسام كان واقعا، وبالنسبة لمعظم الناس الذين خضعوا للتحديث موثقا جدا. ومع ذلك فالعهد (Covenant)، الذي هو أحد المفاهيم وتراثه وأحد الثقافات التي تمكنت من تجاوز الهوة والبقاء على قيد الحياة؛ قد تحول، في الواقع، ولكن في عملية كان لها

تأثير هائل في تشكيل العصر الحديث، لاسيما في بعدها السياسي، والاستمرار في إجبار بعض المجموعات البشرية، أو على أقل تقدير، لتكون بمثابة صخرة النجاة التي يعودون إليها لاستعادة النشاط في أوقات الحاجة. ولا يقل أهمية أن أشير إلى أن التحولات السياسية للحداثة قد انطلقت وحققت أكبر نجاحاتها في تلك البلدان التي كان فيها تراث العهد (Covenant) قويا، مثل سويسرا وهولندا واسكتلندا وإنجلترا والولايات المتحدة"[٧].

وهكذا، فإن العقد الاجتماعي عند المسلمين يتكون من عهد مع بعض الحقوق الأساسية الفردية والجماعية ومن عقد مع بعض الحقوق والواجبات الاجتماعية، كما هو مذكور أدناه بإيجاز. وهو في الجوهر نظرية تكريم الالتزامات المشتركة للحفاظ على الانسجام والتعايش السلمي والاستقرار في المجتمع.

الحقوق الأساسية:

١- حق الحياة باعتبارها هبة من الله (النفس).

٢- حق المعتقد باعتباره حاجة القلب (الدين).

٣- حق الحرية باعتبارها جوهر الكائن البشري (العقل).

٤- حق الملكية باعتبارها من ضروريات الحياة (المال).

٥- حق الكرامة باعتبارها جوهر الهوية الإنسانية (العِرض).

٦ حق التكاثر البيولوجي لاستمرار النوع البشري (النسل).

الحقوق والواجبات الاجتماعية:

١- الإنسان مخلوق خلقه الله، وينبغي له ألا يسيء إلى مخلوقات الله، والطبيعة.

٢- إن كل إنسان يعمل ويعيش في سلام مع الآخرين.

[٧] Daniel J. Elazar, *Covenant and Civil Sciety: The Constitutional Matrix of Modern Democracy*, (London: Transaction Publishers, ١٩٨٩, p. ٧).

٣- إن البشر يدافعون عن حرية الاعتقاد والتعبير والعمل على التحرر من الخوف والفقر.

٤- إن كل فرد يعمل على تعزيز التسامح في المجتمع باعتباره علامة على القوة البشرية.

٥- إنّ الناس يمارسون الحوار الديني والثقافي مع التضامن الديني والثقافي.

٦- اعتراف الإنسان لأخيه الإنسان بالحرية والمساواة.

٧- أن يفي كل إنسان بوعده، ويلتزم بعهده، ويعمل على تنفيذ عقده بالكامل.

٨- أن لا يسعى أحد للانتقام بسبب شرور الماضي، بل أن يتطلع إلى مستقبل أفضل.

٩- أن لا ينشر أحد الكراهية.

١٠- أن يحترم الجميع حقوق الآخرين في كل زمان وفي كل مكان.

١١- أن لا يستخدم أي عضو في المجتمع القوة الفردية لتحقيق الإنصاف من الخطأ، بل أن يطالب بحقه من خلال سلطة القانون فقط.

١٢- إن أوروبا هي دار السلام، واتحاد العقد الاجتماعي، ووطن جميع الذين يتخذونها وطنا لهم.

ومن الواضح أن نطاق هذه المحاضرة محدود وبالتالي لا يمكن التركيز على جميع الحجج المعتبرة بشأن الحاجة إلى العقد الاجتماعي الإسلامي في أوروبا، لكن في الوقت الحالي وبالمساحة المتوفرة، نستطيع أن نقول إن مسلمي أوروبا لا يمكنهم، في جو تسوده روح التحرير والعدالة، تحصيل حقوقهم وكرامتهم في المجتمع المدني لأوروبا وحسب، بل ينبغي عليهم باعتبارهم مواطنين أوروبيين أن يحترموا واجباتهم تجاه المجتمع، ويقبلوا به على أنه مجتمع العهد مع الله، والعقد القابل للتنفيذ مع البشر.

٢- مفهوم الأمان

بعد حديثنا الملخص عن إمكانيّة العقد الاجتماعى الاسلامى فى أوروبا المعتمد على العهد الالهى المعتبر، ننتقل إلى حديثنا عن مفهوم الأمان فى الإسلام فنقول قول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وهو أصدق القائلين: {هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (٥٩:٢٣)، وقال: {وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (١٠:٢٥)، وقال أيضا: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ} (٦٨:٣٥) {مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} (٦٨:٣٦).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ مَا الْإِيمَانُ قَالَ الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، قَالَ مَا الْإِسْلَامُ قَالَ الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ، قَالَ مَا الْإِحْسَانُ قَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...

أولا – الإيمان

هكذا، وبناء على هذا الحديث النبوي الشهير، يوجد ثلاث ركائز متينة يقوم عليها صرح السلام في الإسلام: (الأمن) و (السلام) و (الحَسَنُ). وفي الحقيقة فإن هذه الكلمات العربية الثلاث تشكل جذور المفهوم الأساسي للأمن والسلام والتكافل في الإسلام.

إن الترجمة العامة لكلمة الإيمان بمعنى "الاعتقاد"، لا تعني المعنى الدقيق لجذر تلك الكلمة. فحروف الجذر الثلاثة لهذه الكلمة (أ م ن) تشير إلى مفهوم الأمن و الأمان: بمعنى السلامة والاستقرارية والثقة. وبالتالي، فإن معنى الإيمان ليس فقط إيمان

المؤمنين، بل يشمل أيضا أمن الآمنين، وسلامة السالمين، واستقرارية الشجعان، والاعتماد على شجاعة وثقة الجديرين بالثقة.

إن اسم الفاعل من كلمة الإيمان هو (المؤمن)، أي الشخص الذي يتمتع بحرية العقل، ويحظى بالأمان والمثابرة والثقة، وهو جدير بالثقة. لذا فإن المؤمن رجلٌ يوثق به لأنه واثق من نفسه، وهو واثق من نفسه لأنه يتمتع بالأمن في داخل نفسه، وإن إيمان المؤمن بالله، ناجم عن قدرته على الثقة بمشاعره الداخلية كما أن إيمان المرء يُمثِّل قدرته على إقامة التواصل بين أمنه و إطمئنانه الداخلي والعالم الخارجي.

وإن الضد للإيمان في سياق مجتمع المؤمنين ليس الكفر، بل النفاق. فالكفر هنا خارج السياق لأنه يشير إلى فكرة عدم الإيمان بالله. بينما فكرة النفاق لا تشير إلى هذا الشكل من عدم الإيمان. فالنفاق هو ادعاء كاذب للإيمان بالله والثقة بالإنسان.

إن حالة النفاق علامةٌ على انعدام الأمن الداخلي وتهربُ المرءِ من مسؤوليته الأخلاقية عن السلام في المجتمع. وقد جاء في الحديث النبوي الشريف عن صفات المنافق، قوله صلى الله عليه وسلم: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان).

والمؤمن (الجدير بالثقة) هو النقيض تماما للمنافق، لأنه إذا تحدث صدق، وإذا وعد وفَّى بوعده، وإذا اؤتمن أدى الأمانة. عن أنس قال : ما خطبنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا قال: " لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له" (رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط ، وفيه أبو هلال ، وثقه ابن معين وغيره ، وضعفه النسائي وغيره).

وبالتالي، فإن الشخص المؤمن يتمتع بالأمن الداخلي ويأمَنُه الناس، وهو المسلم الحقيقي المحب للسلام، وهو الذي يعمل من أجل السلام، والذي يجمع بين التكافل والتعاون في المجتمع. لذا، فإننا نعلم أنّ الأرض لن يرثها المستضعفون و لا المعتدون،

بل يرثُها المتعاونون علي البرّ و التقوى والمحبون للسلام. وقال تعالي: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ" (الأنبياء ١٠٥-١٠٦).

ثانيا – الإسلام

إن الانتقال من حالة الإيمان، أي من الإحساس العميق بالأمن والاطمئنان الداخلين، إلى حالة الإسلام التي تعني القبول الحقيقي لفكرة السلام في مواجهة فكرة الحرب، إن هذا الانتقال يمثل الرحلة الاخلاقيّة العليا في حياة الإنسان. وكما وجدنا عند كلمة الإيمان، فإنه يوجد لدينا ثلاثة حروف في جذر كلمة الإسلام (س ل م) وهي تدلنا على المعنى الحقيقي للإسلام وللمسلم. وهكذا، فإن الحروف العربية الثلاثة السين والميم واللام تدل على مفهوم السلام في الإسلام بأنه المحرك الأساسي للرؤية الكونية الشاملة عند المسلم.

إنه ليس من الخطأ تعريف الإسلام بأنه خضوع لإرادة الله عز وجل، ولكن فهم هذا المعنى لا يكتمل بدون إضافة هذه المعاني للإسلام: تسليم لله تعالي طواعيّة وبحرّية كاملة لإن جوهر فكرة الإسلام يكمن في الشهادة على الحركة التاريخية الإيجابية (Affirmative Action) لمبدأ {لا إكراه فى الدين}.

إن هذا الإعلان القرآني في القرن السابع الميلادي فريد من نوعه، ليس فقط في مبادرته التاريخية، ولكن أيضا في الرؤية الإلهية للبشرية التي تعلمت على مر العصور بأن الإكراه ليس فقط في الدين، ولكن أيضا في أي إيديولوجية كانت، لم ولن يأتي بخير أبدا. ولذلك، أكّدت فكرة الإسلام على مبدأ أن الإكراه على الإيمان بالله أمر مرفوض من الله سبحانه وتعالى، لأن القبول و الخضوع السلمين لله، هو فقط الاستسلام الصالح لله، لأن الله هو السلام، وبالتالي فإنه لا يقبل إلا العبادة السلمية والعلاقة السلمية بين بني البشر. وبطبيعة الحال، فإننا ندرك حقيقة القوانين الفيزيائية والطريقة التي يعمل فيها

الكون كله أو الأكوان المتعددة طوعا أو كرها، ولكننا نتحدث هنا عن حرية اختيار الخير عند الإنسان، والتي أقرها الله له: {هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن} (التغابن، ٢).

والواقع، إن الخضوع السلمي لله، يقتضي وجود السلم في الوجدان، الذي يأتي نتيجةً للأمن الداخلي الناجم عن الإيمان، وهذا يعني الثقة بالله الذي نفخ من روحه في آدم، عندما كان طينا، لا حيا ولا ميتا {ونفخ فيه من روحه}، فأصبح بذلك إنسانا، وكائنا بشريا مستنيرا بعقله، لأن بقاء الإنسان مرهون باكتسابه للمعرفة، لذا يجب عليه أن يسير في طريق التعلّم، ويجب عليه أن يسلك سبيل التفكير، كما يجب عليه أن يستعملَ عقله بالكامل. وهذا هو السبب الذي يجعلنا نؤمن بأن أول شيء خلقه الله هو العقل، وكما قال الفيلسوف المسلم والصوفي العظيم الإمام محمد الغزالي: (سلطان العقل الذي هو ميزان الله في الأرض[٨]).

وإذا كان الإسلام يعني الخضوع السلمي لله سبحانه وتعالى، فإن كلمة "مسلم"، وهي اسم الفاعل من فعل أسلم، تعني حرفيا "رجل السلام"، الرجل الذي ينشر السلام في العالم. وخير تعبير عن هذا المعنى نجده في الحديث النبوي الشريف: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ..).

تلك هي فكرة الإسلام، أن يشعر الجميع، رجالا ونساء، بأنهم آمنون عند المسلم في كل زمان ومكان. تلك هي فكرة السلام والسلامة "للغير" التي دفعت الفقهاء المسلمين الأولين لكي يضعوا المبدأ القانوني والأخلاقي التاريخي المستنِدَ إلى روح الشريعة الإسلامية الشاملة، بأن كل شخص غير مسلم يعيش في مجتمع مسلم له أن يتمتع بحقوق الإنسان المسمّى الضروريّات الخمسة، وهي حق الحياة ( النفس)، وحق المعتقَد ( الدين)، وحق الحرية (العقل)، وحق الملكية ( المال) وحق الكرامة ( العِرْض). ولا بد من القول إن الفقهاء المسلمين قد اعتمدوا هذا المبدأ لحقوق الإنسان

[٨] (الغزالي، مشكاة الانوار،١٧ )

الأساسية قبل قرون طويلة من اعتماد منظمة اليونسكو للإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٨.

إن هذه الأدلة التاريخية تبيّن أن الإسلام ليس معاديا لغير الإسلام، وأن المسلم لا يعادي غير المسلم. إن الإسلام يقاوم الفساد والظلم والإجرام والعنف؛ والمسلم يقف ضد الفساد والظلم والإجرام والعنف.

ثالثا – الإحسان

الركن الثالث في صرح السلم والأمن في الإسلام هو فكرة الإحسان، وتأتي هذه الكلمة من الجذر العربي (ح س ن)، وتدل على الجمال، والرفاهية، والخير ، والصلاح. وكما تعلمنا من الحديث النبوي الشريف، أنه يجب على المرء، رجلا كان أو امرأة، أن يحافظ دائما على صورته الإنسانية الجميلة في عيون الآخرين، وأنه يجب عليه أو عليها، معاملة الآخرين بالحسنى، وفعل الخير للآخرين دائما، وتقديم الخير لجميع بني البشر، فإن فعل ذلك، نال لقب المحسن، الذي يعمل بشكل جيد، ويفعل الخير والصواب للآخرين، ليس فقط لينال الثناء من البشر، بل ليحظى بنظر الله سبحانه وتعالى إليه، فهو الذي يرانا وما نفعل، وإن كنا نحن لا نراه. وتلك هي أعلى درجات جمال النفس البشرية، وأسمى القيم الأخلاقية عند بني البشر – ومما لا شك فيه، أن ذلك هو المثل الأعلى لمفهوم السلام في المجتمع البشري.

فلقد حاولتُ فيما تقدم أن أبيّن أن جوهر الإسلام و المسلم يحمل في طياته رسالة السلام والأمن عبر العالم. ومن الجدير بالملاحظة أنّ اسم الإسلام، على العكس من اليهودية والمسيحية والبوذية، لم يُشتَقْ من اسم شخص، بل اشتُقَّ من مفهومٍ مُجَرَّدٍ، ألا وهو مفهوم السلام والأمان. لذا، فإن الإسلام هو دين السلامِ والأمان، والمُسلمَ هو رجل السلام والأمن.

ومع ذلك، فإن تصويرَ الإسلام على أنه دين العنف، وإظهارَ المسلم في صورة الرجل الإرهابي، لا ينبغي أن يزعزع إيمان المسلمين الحقيقيين بالسلام والأمن وإصرارهم على العمل من أجل السلام والأمن في العالم.

وإنها ليست المرة الأولى في التاريخ التي يتم فيها تفسير الدين من قبل المتحيّزين، من أولئك الذين وقعوا أسرى الكراهية تجاه الآخر؛ وليست المرة الأولى في التاريخ التي يجري فيها توجيه مفهوم الدين في الاتجاه الخطأ، وليست المرة الأولى في التاريخ التي يجب فيها على ضحايا الأحكام المسبقة أن يدركوا أن الأفكار الخاطئة عنهم لن تزول من تلقاء نفسها، بل يجب عليهم أن ينهضوا ويتحدثوا عن مفاهيمهم الحقيقية عن الحياة والدين، وعن الثقافة والسلام والأمن في العالم. ولكن الكلام لا يكفي، بل لا بد من العمل بطريقة مقنعة، بحيث يكون ما يتحدثون عنه من إيمان ومواعظ وتعاليم، واقعا عمليا يمارسونه في حياتهم. وإن الأسوة الحسنة أقوى من ألف كلمة تقال في موعظة فارغة.

في الحقيقة، يجب علينا نحن المسلمين أن نعترف بوجود بعض الرجال غير المسؤولين بيننا، من الذين يُلحِقون بتصرفاتهم الأذى بالإسلام والمسلمين، وهم يظنّون أنهم يخدمون الإسلام والمسلمين، لأنهم يفعلون ذلك بطريقة لا أحد يفهمها ولا يمكن لأحد أن يقبلها. إنهم ينشرون مفاهيم خاطئة عن الإسلام والمسلمين بطريقة نحتاج معها لأجيال وأجيال يعملون بجد واجتهاد لتصحيحها. إن الظلم الذي يقع علينا لا يعطينا الحق بأن نكون ظالمين. والله سبحانه وتعالى يدعو المسلمين إلى تعزيز السلم وتحقيق العدالة حتى مع أعدائهم، عسى أن يغيّر ذلك قلوبَهم ويحولَهم إلى أصدقاء:

{ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم} (فصلت: ٣٤).

هذا هو مفهوم الأمان في الإسلام – جعلُ جميع الناس يشعرون بأنهم أصدقاء فيما بينهم، وخاصة في مجتمع متعدد الثقافات والأديان والأعراق واللغات، كما هو الحال في المجتمع العالمي اليوم.

**٣- دار الاسلام**

قبل تناولنا لقضيّة دار الإسلام فى أوربا نودّ أن نورد هنا بعض مفاهيم لموضوع دار الإسلام و دار الحرب عند بعض علمائنا القدامى والمحدثون. "فمن طبيعة الإسلام، يقول الاستاذ محمد عمارة، أنه دين الجماعة، وكثير من فرائض الإسلام وتكاليفه هي فرائض جماعيّة المخاطب بها الأمّة، ولهذه الحقيقة الإسلاميّة أقام الإسلام للمسلمين كياناً موحّدًا واتحاديًّا بمعالم جامعة خمسة وهي الوحدة في: العقيدة، والشريعة والأمّة، والحضارة، ودار الإسلام. وهذه الجوامع الخمسة تتنوّع وتتمايز باختلافات في التصوّرات والاجتهادات والمصالح والعادات والتقاليد والأعراف، ولكن ذلك كله يبقى في إطار الوحدة الإسلاميّة الذي يحفظ التنوّع، ويَقي من التمزّق والتشرذم والشقاق"[٩].

إذن، فمن جوامع وحدة المسلمين الخمسة الرئيسة هي دار الإسلام، ولذا يتعيّن علينا هنا إيراد بعض الآراء لعلمائنا الأجلّاء هذه المسؤلة. وقد ذهب الإمام الشيخ أبي زهرة إلى أن الدور ثلاثة: دار الإسلام ودار الحرب، ودار العهد.. وللتوضيح فكما يقول الدكتور يوسف القرضاوي بأن التقسيم الثنائي عُرف قديمًا وحديثًا باعتبارات شتّى، فالرومان كان العالم عندهم ينقسم إلى رومان وبرابرة، وقد شهد العالم من مدّة قريبة في القرن العشرين انقسام العالم إلى معسكرين المحور والحلفاء، والآن عالم الشمال وعالم الجنوب..

---

[٩] محمد عمارة. *الإسلام والتحديات المعاصرة*: ٩-١٢.

وسنتناول بتبسيط وإيجاز مفاهيم المصطلحات التالية في الفقه الإسلامي:

دار الحرب: هي: كل مكان يسكنه غير المسلمين ولم يسبق فيه حكم إسلامي، أو لم تظهر فيه قط أحكام الإسلام، هكذا عند السادة الشافعيّة، أو هي: كل بقعة تكون أحكام الكفر فيها ظاهرة[١٠]، وقد وضّح ذلك الشيخ يوسف القرضاوي بقوله:

"هي التي يكون السلطان فيها لأهل الكفر، فلا تجري فيها أحكام الإسلام، ولا تقام فيها شعائر ه، ولا يأمن أهلها بأمان المسلمين"[١١].

ومن المفيد هنا الإشارة إلى أن ذلك كما هو واضح لا يعني أن وقوع الحرب فعلاً مرتبط باستخدام هذا المصطلح، وإنما المراد كما عند السادة الفقهاء الأحناف: كل ما ليس بدار الإسلام، وإن لم تقع معها حربٌ (بالفعل)، فهناك حرب (بالإمكان والاحتمال) قد تقع[١٢].

فدار الحرب بناء على ما تقدّم كما جاء في تنوير الأبصار وشارحه في الدر المختار هي: "دار تجري فيها أحكام الكفر على سبيل الإشهار والظهور، ولا يحكم فيها بأحكام أهل الإسلام مطلقاً".

دار الإسلام: "هي كل بقعة تكون أحكام الإسلام فيها ظاهرة[١٣]، وهي الدار التي تتوافر فيها شروط:

(أ) أن تظهر فيها أحكام الإسلام وشعائره ولو جزئيـــاً، مثل بناء المساجد وإقامة الجماعة والجمع، وصيام رمضان، وأحكام الأسرة، قال الإمام أبو يوسف: (وتعتبر الدار دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها، وإن كان جلّ أهلها من الكفار..)[١٤].

---

[١٠] الموسوعة الفقهية الكويتية: ٢٠/ ٢٠٦؛ والموسوعة الإسلامية العامة التي أصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر ص: ٦٣٠.

[١١] يوسف القرضاوي. فقه الجهاد: ٢/ ٨٩٠.

[١٢] المرجع السابق: ٢/ ٨٨٠.

[١٣] الموسوعة الكويتية: ٢٠/ ٢٠١.

[١٤] المبسوط للسرخسي ١٠/ ١٤٤ نقلاً عن القرضاوي مرجع سابق ٢/ ٨٨٩.

(ب) أن تكون السلطة فيها للمسلمين وإن كان جلّ أهلها غير مسلمين.

(ج) أن يأمن المسلمون فيها على أنفسهم بحكم إسلامهم، وأهلُ الذِّمّة بمقتضى عقد ذمّتهم[١٥]، ونقل الشيخ القرضاوي عن الإمام الحلواني وهو من فقهاء الحنفيّة في القرن الخامس الهجري قوله:

ألا ترى أن دار الحرب تصير دار إسلام بمجرّد إجراء أحكام الإسلام فيها إجماعًا[١٦].

ذهب السّادة الشافعيّة إلى أن دار الإسلام لا تتحوّل إلى دار حرب بحال من الأحوال[١٧].

ذهب الإمام أبو حنيفة إلى أن دار الإسلام لا تصير دار كفر إلا بثلاثة شرائط:

(١) ظهور أحكام الكفر فيها بأن لا يحكم بحكم أهل الإسلام فيها.

(٢) أن تكون متاخمة لدار الكفر فلا يتخلَّل بينهم بلدة من بلاد الإسلام.

(٣) ألا يبقى فيها مسلم ولا ذمّي آمنًا بالأمان الأوّل، وهو أمان المسلمين له بعقد ذمّته[١٨].

ومرجع ذلك أنَّ الإمام أبا حنيفة رحمه الله يلحظ جانب الأمن في تقرير حالة الدّار فإن بقي الأمن في دار الإسلام للمسلمين فتبقى دار إسلام لأنهم يقيمون إسلامهم دونما عَقَبات، لكن عندما يتحوّل الأمن عنهم لغيرهم وينزل بهم الخوف فلا يؤدّون شعائرهم، وتظهر الشروط الأخرى معها فتتحوّل الدار بحكم الواقع من دار إسلام إلى دار حرب.

وقد نقل الدكتور عبد الكريم زيدان عن الإمام الاسبيجابي من فقهاء الأحناف في القرن السابع الهجري عندما غزا التتار بلاد الإسلام قوله: (وقد حكمنا بلا خلاف بأن

---

[١٥] القرضاوي. المرجع السابق: ٢/ ٨٨٩.

[١٦] القرضاوي. المرجع السابق: ٢/ ٨٩٧.

[١٧] الموسوعة الفقهية الكويتية: ٢٠/ ٢٠٢.

[١٨] الموسوعة الفقهية الكويتية. المرجع السابق؛ والقرضاوي. مرجع سابق: ٢/ ٨٩٥.

هذه الديار قبل استيلاء التتار عليها كانت من ديار الإسلام، وأنه بعد الاستيلاء عليها بقيت شعائر الإسلام كالأذان والجُمع والجماعات وغيرها، فتبقى دارَ إسلام، ومثل ذلك نقل عن الإمام الحلواني، ومن المفيد أن ننقل هنا ما استخلصه بقوله: والخلاصة المستنبطة من رأي الإمامين الاسبيجابي والحلواني: "أن دار الإسلام لا تكون دار حرب بمجرّد استيلاء دولة كافرة عليها ما دام يجري فيها بعض أحكام الإسلام"، ويضيف د. القرضاوي قوله معقِّبًا: "ما دامت غير متصلة بدار الحرب".

إنَّ ذهاب البعض إلى نفي الإسلام عن بعض البلاد الإسلاميّة أو كلّها لشبه لديهم ينذر بخطر عظيم وتترتَّب عليه مفاسد لا عد لها تعصف بالعالَم الإسلامي قطعة قطعة وبلدًا بلدًا، وتلقي بها في المجهول وتقحمها في الأهوال، ولا بد للسّادة علماء الدين أن يؤدّوا واجبهم في تجلية الحكم في هذه القضية، ودفع الشُّبَه المثارة لدى البعض عبر الحوار البنّاء.

مما تقدم يتأكّد لدينا إن البلاد الإسلاميّة جميعها دار إسلام منذ أن دخلها الإسلام، وبوجود المسلمين المتواصل فيها، وتمكّنهم من إظهار شرائعهم، وترابط بلدانهم.

نعم، فقد مضي الفقهاء زمناً طويلاً وهم يتداولون ما اصطلح عليه في الفقه الإسلامي "دار حرب ودار إسلام" كصورة من صور العلاقة بين المسلمين وغيرهم إلا أن أحداث العنف من قبل أطراف إسلامية تجاه دولٍ غربية وعربية، ونزعات العنصرية في دول غربية ضد جاليات أقامت بينهم عقوداً من الزمن أحالت علماء ومفكرين إلى مراجعات لبعض الإرث الفقهي القديم في العلاقة الجدلية بين المسلمين وغيرهم.

خلص علماء وفقهاء من دول إسلامية وعربية عدة، إلى استلهام روح فتوى سابقة لشيخ الإسلام ابن تيمية، والانطلاق منها إلى ابتداع مصطلح فقهي بديل، يناسب واقع العصر، في مسألة عرفت فقهياً بـــ«تقسيم الديار». وأكد الفقهاء في ختام مؤتمر

أقامه أخيراً (٢٠١٠) في مدينة ماردين التركية «المركز العالمي للترشيد والتجديد» برئاسة العلامة عبدالله بن بيه، أن تقسيم الدول ما بين «دار سلام، أو حرب» لم يعد صالحاً للعهد المعاصر الذي أصبح فيه جميع السكان في »الدولة الوطنية» يتمتعون بكامل حقوقهم في الغالب، واقترحوا إطلاق مصطلح »فضاء سلام» بديلاً عن التقاسيم السابقة أجمعها، أسوة بابن تيمية الذي ابتدع وصفاً جديداً لأهل ماردين قبل قرون خلت، ولم يأسر نفسه بالأقسام المشهورة في زمانه.

وكان أهل المدينة في عهد التتار سألوا ابن تيمية عن الوصف الشرعي لمدينتهم، وهل هي «دار كفر أم إسلام؟»، فرد بإجابة مبتكرة في نظر الفقهاء، وأطلق عليها قسماً ثالثاً، وقال: «وأما كونها دار حرب أو سلم، فهي مركبة: فيها المعنيان، ليست بمنزلة دار السلم التي تجري عليها أحكام الإسلام، لكون جندها مسلمين. ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار، بل هي قسم ثالث يعامل المسلم فيها بما يستحقه، ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه». وهو التوصيف الذي استغله كثير من أتباع الفكر التكفيري في تبرير أعمالهم الإرهابية.

إلا أن المجتمعين الذين خصصوا مؤتمرهم لنقاش فتوى ابن تيمية حول المدينة نفسها قبل ٧٠٠ عام، أكدوا أن فتوى شيخ الإسلام «لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون متمسّكاً ومستنداً لتكفير المسلمين والخروج على حكامهم واستباحة الدماء والأموال وترويع الآمنين، والغدر بمن يعيشون مع المسلمين أو يعيش معهم المسلمون بموجب علاقة مواطنة وأمان، بل هي فتوى تحرّم كل ذلك (...) وقائلها موافق فيها ومتبع لعلماء المسلمين في فتاواهم في هذا الشأن ولم يخرج عنهم». مقررين أن من استند

إلى تلك الفتوى في قتال المسلمين أو غيرهم »أخطأ في التأويل وما أصاب في التنزيل.«

**٤- دار الاسلام وأوروبا**

فإنطلاقا ممّا تقدم نستطيع القول بأنّ أوروبا ليست دار إسلام، ولا دار حرب، بل هي دار الصلح أي دار العقد الاجتماعي (The Social Contract).

إن أوروبا ليست دار الإسلام لأن المسلمين فيها ليسوا أغلبية، وعليه فلا يمكن تطبيق الشريعة الإسلامية الكامل فيها، وهي أيضا ليست بدار الحرب، لأنه من الممكن فيها تطبيق بعض جوانب الشريعة الإسلامية. وبناء على هذا فإن أوروبا هي دار العهد، والعقد والأمان، وذلك لإمكانية العيش في الإسلام ضمن إطار العقد الاجتماعي "على أساس المبادئ التي يقبل بموجبها الأفراد الأحرار العاقلون ــ وهم يرغبون بتحقيق مصالحهم الذاتية ــ نقطة الانطلاق المتمثلة بالمساواة، على أنها تحديد للنقاط الأساسية لتضامنهم"[١٩].

إنه ليس من الصعب البرهنة على أن فكرة العقد الاجتماعي أو غيره، أمر له أصوله الشرعية في الإسلام. فلدينا الكثير من الأدلة الاعتقادية والتاريخية الإسلامية التي تشير إلى مبدأ العهد والحلف والاتفاق والذي يقف بمواجهة مبدأ الحرب والصدام وإراقة الدماء. إن كلمة الإسلام بحد ذاتها تحمل في طياتها معاني السلام مع الله ورسوله ومع سيادة القانون، هذا لأن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل: {والله يدعو إلى دار السلام ...} (١٠ : ٢٥) ؛ ويقول عز وجل أيضا: {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما} (٢٥ : ٦٣}.

وانطلاقا من روح هذه الآيات القرآنية، أبرم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية مع المشركين، ومع اليهود والنصارى في المدينة المنورة ومناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية، وكذلك مع حكام البلاد المجاورة مثل الحبشة وفارس

[١٩] Jhon Rawls, *A Theory of Justice.* Cambridge, Mass.: Harvard University Press, ١٩٧١; Oxford: Oxford Uviversity Press, ١٩٧٢, p.١١

وبيزنطة. إن هذه الحقيقة التاريخية عن دارالعقد و العهد والاتفاق والتعايش، والتي قدمها المسلمون تعبيرا منهم عن حسن النوايا تجاه الأديان والشعوب الأخرى، قد أحسن تسجيلها وتوثيقها محمد حميد الله في كتابه القيّم: "مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة" ( دار الإرشاد، بيروت، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م).

وكما ذكرنا، فإنه ليس من الصعب البرهنة على صحة نظرية العهد والأمان، لأنه يمكننا وبكل ثقة أن نؤكد بأن هذا يعتبر جزءا جوهريا في التعاليم الإسلامية الشاملة وفي التاريخ الإسلامي.

ولكن العقبة التي نواجهها تتمثل في قصرنا إلى التصور الحقيقي للعقد الاجتماعي الذي يمكن تطبيقه ضمن سياق البيئة الأوروبية، والذي سيضمن المكانة الشريفة للإسلام بصفته أسلوب حياة في أوروبا، وللمسلمين باعتبارهم مواطنين أوروبيين. أولا، يجب علينا أن ندرك بأن أوروبا دار سلام لا دار حرب. ثانيا، يجب علينا أن نعرف القضايا التي ينبغي إدراجها في إطار العقد الاجتماعي. ثالثا، يجب علينا أن ننشئ منظمة أو مؤسسة يمكنها أن تقدم الإسلام على أنه دين عالمي والمسلمين على أنهم مواطنون أوروبيون صالحون.

إن معني العقد(Contract) الذي يصيغه الناس هو شيء يمليه منطق العقل، بينما الميثاق(Covenant) تجسيد لقوّة الايمان، ولذا نُعَرِّفُ المسلمَ بأنه إنسان عاهد الله عليه باعتبار ذلك عملا تجسده قوّة الإيمان (الميثاق)، بينما نعرّف المواطن أنه رجل عليه واجب تجاه الدولة باعتبار ذلك عملا يمليه عليه عقله (العقد)، ومن خلال الميثاق يتجه قلب الإنسان لربّه ويحصل له الإطمئنان الداخلي ومن خلال العقد يعطي الدولة عقله ويتلقى بذلك الأمن الاجتماعي، شأنه في ذلك شأن أي واحد من سكان أية مدينة، فالمواطن له حقوق وامتيازات الرجل الحر، وهو عضو في الدولة سواء كان مواطنا بالميلاد أو بالتجنس، وهو مدين للدولة بالإخلاص وله عليها حق توفير الحماية له.

إن أوروبا بوصفها دار العقد تفتح الطريق أمام الحوار الصادق ليس مع النصارى فحسب بل مع المجتمع الأوروبي (أو الغربي) بأسره، ولتأكيد ذلك الأمر يقول جل وعلا: {أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل: ١٢٥].

هذا المبدأ القرآني يقرر بأن الحوار بين الأديان والثقافات يجب أن يكون مؤطرا وعادلاً وعلمياً وهادفاً وشاملاً وذا معنى، ومن أجل تحقيق هذا المستوى في التخاطب مع المجتمع الأوروبي يتحتم علينا أن نفهم فلسفة أوروبا وثقافتها وسياسيتها المعاصرة. ففلسفة أوروبا ترتكز على منطق العقل والعلوم التجريبيّة، وثقافتها مأخوذة من التجربة النصرانية في معظمها، وسياستها تستند إلى فكر البقاء للأصلح. هذا الفهم المطلوب لاوروبا ليس القبول لكل ما هو اوروبي، بل العكس هو الصحيح، إذ يؤدي عدم الفهم إلى قبول الأشياء التي يجب رفضها. وفضلاً عن ذلك فإن الجهل بحقيقة مختلف أبعاد المجتمع الأوروبي يجعلنا غير قادرين على التمييز بين الصالح والطالح والمفيد والضار من المنتجات الأوروبية المتاحة لنا للإستهلاك. في الحقيقة فأن درجة معرفة أوروبا (والغرب عموما) بالمسلمين أكبر من مستوى إرادتها في قبولهم، بينما يقل مستوى معرفة المسلمين بأوروبا عن مستوى استعدادهم لقبولهم لها، وهذا هو التباين الأساسي بين النظرة الأوروبية للإسلام والنظرة الإسلامية لأوروبا أوبعبارة أخرى، عدم توفر الإرادة الأوروبية لقبول المسلمين على حالهم الراهنة، بجانب عدم توفر المعرفة للمسلمين عن أوروبا كما هي عليه الآن. يلاحظ المرء أن أوروبا مستعدة للتسامح مع الإسلام في دارها لكنها غير مستعدة حتى الآن لقبول المسلمين في حياتها السياسية والاجتماعية والثقافية، ومن ناحية أخرى يقبل المسلمون أوروبا على شكلها الحالي لكنهم لا يقومون بما هو كاف لزيادة مستوى معرفتهم بالبيئة السياسية والاجتماعية والثقافية في أوروبا التي يمكن أن تغير وضعهم في المجتمع الأوروبي.

وإذا قبلنا مفهوم دار العقد لأوروبا كما يراها المسلم الحقيقي بوصفه مواطناً أوروبياً صالحاً، فإنه يستوجب علينا أن نعرف ما هي القضايا التي تهمنا لجعل المفهوم عملياً. ينبغي أن نعرف القضايا التي توجد نوعاً من الشد والجذب بين الإنتماء الإسلامي والمواطنة الأوروبية؟ وهل هذه القضايا ذات صفة سياسية أم اقتصادية أم ثقافية أم دينية؟

أنه القول الصحيح أن يقال إن القضايا تتسم بكل الصفات المذكورة أعلاه، فعلى الجانب السياسي يجب أن يعرف المسلمون في أوروبا حقوقهم الإنسانية لا سيما فيما يتعلق بتمثيلهم أمام الآخر، ينبغي أن يصرّ المسلمون على إزالة كل جوانب الكراهية في وسائل الإعلام المتحيزة ضد الإسلام والتي دعمتها بقوة المؤسسة السياسية الأوروبية وأعني بهذا الأمر الشعور المناهض للإسلام والذي نجم عن عدم التسامح السياسي والكراهية العنصرية.

إن علي أوروبا أن يتقبل القيم الإسلامية التي تدعو إلي التسامح بين الأديان و أن تعترف بقيمة العَرَق الذي سال من جباه العمال والمفكرين المسلمين في سبيل بناء أوروبا الحرة الغنية، حيث إن أوروبا ليست مدينةً تاريخيا فحسب للمسلمين فيما يتعلق بحريتها وازدهارها، بل إن مساهمة المسلمين المعاصرة في تطوير وتقدم أوروبا هي التي تعطينا الحق في أن نقول إن أوروبا مدينةٌ لنا فعلاً بالكثير جداً، وعلى الجانب الاقتصادي يجدر بنا أن نطالب بتساوي الفرص وذلك لتحقيق قدر معقول من النمو الاقتصادي للجماعة الأوروبية الإسلامية، ومن هنا فمن الطبيعي أن ترتبط القضايا الاقتصادية ارتباطاً عضوياً قوياً بقضية التعليم و التربية التي يجب أن تكون محور اهتمامنا الأول، حيث "تدل كلمة التعليم و التربية على جملة التأثيرات التي تتمكن الطبيعة أو الأشخاص الآخرون من ممارستها سواء على عقولنا أو على إرادتنا وتشمل حتى التأثيرات غير المباشرة على شخصيات وعقول الرجال والتي نجمت عن أشياء

لها هدف مختلف تماماً، سواء بسبب القانون أو بنوع الحكومات أو بالفنون الصناعية، وحتى بفعل الظواهر الطبيعية مثل المناخ والتربة والمنطقة والتي ليس للإرادة البشرية سلطان عليها."

يذكرنا تعريف التعليم هذا بأربع حقائق يتحتم علينا معرفتها وهي أولاً: ما الأشياء التي يجب أن نفعلها حتى نتمكن من التأثير على عقول أطفالنا؟ وثانياً: يجب أن نكون مدركين للأشياء التي يفعلها الآخرون من أجل التأثير على شخصيات وعقول أبنائنا، وثالثاً: يجب أن نكون ملمين بقوانين وأنماط الحكومات الأوروبية التي تسهم بصورة غير مباشرة في تشكيل عقول أطفالنا، ورابعا: ينبغي أن ندرك الظواهر الطبيعية في أوروبا وذلك حتى يتسنى لنا أن نتفهم الاحتياجات الثقافية والاقتصادية للجماعة الإسلامية الأوروبية.

ولذا ، وقبل أن نطلب من الآخرين القيام بالمطلوب منهم تجاهنا، يجب علينا أن نقوم بأنفسنا بالقيام بما هو مطلوب منا في مجال التعليم و التربية. علينا أن نعمل على إعداد برنامج تعليمي وتربوي واضح وشامل نراعي فيه ضرورة ارتكازه على المبادئ الجوهرية لروح ديننا باعتبار ذلك عملاً من إرادتنا بجانب ارتكازه على واجباتنا وحقوقنا الأساسية كمواطنين أوروبيين، وفي إطار التوافق التام بين هذين المطلبين أرى الحاجة لتطوير مفهوم دار العقد والذي ينبغي أن يطبق في أوروبا.

وفيما يتعلق بالقضايا الدينية، فإنها تعتمد بدرجة كبيرة على القضايا المذكورة أعلاه والمرتبطة بالسياسة والاقتصاد والثقافة، ولأن ديننا هو منهج حياتنا فإن القضايا الدينية لا يمكن عزلها عن حياتنا، فبناء أي مسجد في أوربا يعد قضية دينية لكنه لا يتم حلها دون الإرادة السياسية للحكومات الأوروبية، وكذلك لا تتم المحافظة عليه دون المقدرة الاقتصادية للجماعة الإسلامية كما أن المسجد لا يؤدي وظيفته دون توافر التسهيلات التعليمية و التربويّة.

ينبغي ألاّ نحصر شؤون المسلمين في القضايا الدينية فقط، بل يجب أن توسع لتشمل القضايا الاجتماعية، كذلك يجب أن يُعامَلَ دينُنا بوصفه شيئا طبيعياً وقانونياً ووفق مبدأ حرية الضمير والاعتقاد، لكن مما يؤسف له أن أوروبا حتى الآن لم تمنح الإسلام وضعه الطبيعي كباقي الأديان، بل على العكس تماماً لا يزال للإسلام وضع الغريب أو وضعٌ خاصٌ يتم التسامح فيه معه، فهو لا يُقْبَلُ كممثل مساوٍ للأديان الأخرى ضمن التراث الروحي الأوروبي العام على الرغم من أن الإسلام يحتل اليوم المرتبة الثانية بعد النصرانية في العديد من البلدان الأوربية.

هذا ويواجه المسلمون الأوربيون اليوم صعوبات كبيرة في سبيل المحافظة على هويتهم نظرا لعدم توفر الإرادة لدى بعض الحكومات الأوروبية لتنظيم احتياجاتهم الدينية وحقوقهم الاجتماعية حيث يتوقع الناس من المسلمين أن ينسجموا تماماً مع شرائح المجتمع وأحياناً كثيرة للمدى الذي يفقدون معه هويتهم الإسلامية، وبصفة عامة يتكون لديَّ انطباع عام عن الإعلام الغربي مفاده أن المسلم لن يكون مواطناً أوروبياً صالحاً إلا إذا تنكر لأصله الإسلامي، وإذا لم يفعل ذلك فسوف يواجه الاتهام بأي شيء يحدث في العالم الإسلامي وكأن تلك الجريمة اقترفها بنفسه.

وبسبب هذا الانطباع نجد أن حالة وأوضاع شؤون المسلمين في أوروبا ليست دينية فحسب لا سيما الجانب المتعلق بأخلاق الشخصية الإسلامية، بل إنه في العديد من الحالات نجد أمورهم سياسية بصفة غالبة، الأمر الذي يجعلهم يعيشون بصورة دائمة تحت هاجس الخوف وعدم الاطمئنان، ولذا لابد أن يبعد الإسلام عن التأثير السياسي حتى يكون ديناً عالميا هدفه الأساسي هو تعليم اتباعه ممارسة السلوك الحسن في المجتمع الدولي وهذا لا يعني بطبيعة الحال وجوب ألا يُلِمَّ المسلمون بسياسة ذلك المجتمع الدولي، بل العكس من ذلك ينبغي أن يتسلح المسلمون بمعرفة السياسة الدولية حتى يتمكنوا من إنقاذ دينهم من التسييس السيئ.

واستنادا لما ذكرناه آنفا نكون قد وضعنا أصابعنا على أهم قضية للإسلام في أوروبا وهي تحديداً قضية التمثيل والمؤسسات، إذ ينبغي أن يكون معلوماً في بادئ الأمر أن هناك حوالي ثلاثين مليون مسلم يعيشون اليوم في أوروبا يمثلون ثلاث مجموعات هي تحديداً:

١- مجموعة المسلمين الأصليين.

٢- مجموعة المهاجرين.

٣- مجموعة المولودين و المعتنقين المسلمين الجدد في أوروبا.

نعني بالمجموعة الأولى المسلمين الذين لهم خلفية تاريخية طويلة في أوروبا مثل مسلمي البوسنة وألبانيا وكوسوفا ومقدونيا وبلغاريا.

ونعني بمجموعة المهاجرين المسلمين الذين هاجروا إلى أوروبا بوصفهم طلاباً أو عمالاً أو موظفين ثم استقروا بصورة دائمة ويتركز هؤلاء في كل من بريطانيا وألمانيا وفرنسا.

ونعني بمجموعة المولودين و المعتنقين المسلمين الجدد في أوروبا جيل الشباب الذين ولدوا في أوروبا من أبوين مهاجرَيْنو والذين اعتنقوا الاسلام.

تشترك هذه المجموعات الثلاث في شيء واحد هو الانتماء إلى الإسلام لكنها تختلف من حيث تجاربها الإنسانية وتوقعاتها في الحياة، فالمجموعة الأصلية تحمل على كاهلها عبئا ثقيلاً من التاريخ وتتوقع أن تحظى بالدعم في نضالها من أجل استمرارها الديني والثقافي في أوروبا.

أما مجموعة المهاجرين فإنها تبذل كل الجهود الممكنة من أجل أن تجد لنفسها موطأ قدم في أوروبا وتتوقع أن تتغلب على وضع الغربة الذي تعيشه في أوروبا.

وأخيراً مجموعة المسلمين المولودين في أوروبا و المعتنقين الجدد يعيشون حالة جهد للمحافظة على هويتهم الإسلامية في وجه التحديات البيئية الأوروبية في مجال السياسة والاقتصاد والثقافة.

ما الذي يمكن أن يتم القيام به حتى تصبح قيم الإسلام العامة أرضاً مشتركة لكل المسلمين في أوروبا؟

انه يتوجب علينا في هذا الوقت بالذات أن ندرس بصورة جدية طريقة جعل كل من وجود الإسلام كدين عالمي والمسلمين كمواطنين دوليين أمراً مؤسسياً أملاً أن يكون واضحاً لكل إنسان أن التمثيل الطوعي للإسلام والمسلمين في أوروبا يعدُّ أمراً مُضَلِّلاً باعتباره شيئاً ضد كرامة المسلم والسلام في أوروبا، الحقيقة لا يكفي أن تعترف أوروبا بوجود الإسلام على أراضيها لأن المسلمين يستحقون أكثر من مجرد الاعتراف، بل يريدون أن يكون الاعتراف بهم قانونياً بحيث يسمح ذلك بإيجاد المناخ السياسي والاقتصادي الذي يُمَكِّنُ المسلمين من أن يمثلوا أنفسهم عبر المؤسسات التي ينبغي أن تحظى بالدعم الحكومي والقبول الشعبي، إذ إن وسائل الإعلام تجرح مشاعرنا من خلال إصرارها على عرض الإسلام في أوروبا بصورة الإرهاب وربطه بالمسلمين.

***

أَللّهمَّ إنِّي أسْأَلُكَ مِنَ النِّعْمَةِ تَمَامَهَا، وَمِنَ العِصْمَةِ دَوَامَهَا، وَمِنَ الرَّحْمَةِ شُمُولَهَا، وَمِنَ العَافِيَةِ حُصُولَهَا، وَمِنَ العَيْشِ أَرْغَدَهُ، وَمِنَ العُمُرِ أَسْعَدَهُ، وَمِنَ الإِحْسَانِ أَتَمَّهُ، وَمِنَ الإِنْعَامِ أَعَمَّهُ، وَمِنَ الفَضْلِ أَعْذَبَهُ، وَمِنَ اللُّطْفِ أَقْرَبَهُ.

أَللّهُمَّ كُنْ لَنَا وَلا تَكُنْ عَلَيْنَا. أَللّهُمَّ اخْتِمْ بِالسَّعَادَةِ آجَالَنَا، وَحَقِّقْ بِالزِّيَادَةِ آمَالَنَا، وأَقْرِنْ بِالعَافِيَةِ غُدُوَّنَا وَآصَالَنَا، وَاجْعَلْ إِلَى رَحْمَتِكَ مَصِيرَنَا وَمَآلَنَا، وَاصْبُبْ سِجَالَ عَفْوِكَ عَلَى ذُنُوبِنَا، وَمُنَّ عَلَيْنَا بِإِصْلاحِ عُيُوبِنَا، واجْعَلْ التَّقْوَى زَادَنَا، وَفِي دِينِكَ اجْتِهَادَنَا، وَعَلَيْكَ تَوَكُّلَنَا وَاعْتِمَادَنَا.

أَللّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى نَهْجِ الاسْتِقَامَةِ، وَأَعِذْنَا فِي الدُّنْيَا مِنْ مُوجِبَاتِ النَّدَامَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَخَفِّفْ عَنَّا ثِقْلَ الأَوْزَارِ، وَارْزُقْنَا عِيشَةَ الأَبْرَارِ، وَأَكْفِنَا وَاصْرِفْ عَنَّا شَرَّ الأَشْرَارِ، وَأَعتِقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَإِخْوَانِنَا وَأَخَوَاتِنَا مِنَ النَّارِ، بِرَحْمَتِكَ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ، يَا كَرِيمُ يَا سَتَّارُ، يَا عَلِيمُ يَا جَبَّارُ.

يَا أَللهُ يَا أَللهُ يَا أَللهُ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيا أَوَّلَ الأَوَّلِينَ، وَيَا آخِرَ الآخِرِينَ، ويا ذَا القُوَّةِ الْمَتِينِ، وَيَا رَاحِمَ المَسَاكِينِ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، لا إِلهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

# الملخص

قد حاولتُ في هذا البحث أن أبيّن أن جوهر الإسلام والمسلم يحمل في طياته رسالة العهد والسلام والأمن عبر العالم. ومن الجدير بالملاحظة أنّ اسم الإسلام، على العكس من اليهودية والمسيحية والبوذية، لم يُشتَقْ من اسم شخص، بل اشتُقَّ من مفهومٍ مُجَرَّدٍ، ألا وهو مفهوم السلام والأمان. لذا، فإن الإسلام هو دين السلامِ، والأمان، والعهد وإن المسلمَ هو رجل السلام والأمن والعهد المشهود.

ومع ذلك، فإن تصويرَ الإسلام على أنه دين العنف، وإظهارَ المسلم في صورة الرجل الإرهابي، لا ينبغي أن يزعزع إيمان المسلمين الحقيقيين بالسلام والأمن و العهد وإصرارهم على العمل من أجل السلام والأمن و العهد في العالم.

وإنها ليست المرة الأولى في التاريخ التي يتم فيها تفسير الدين من قبل المتحيّزين، من أولئك الذين وقعوا أسرى كراهية الغير؛ وليست المرة الأولى في التاريخ التي يجري فيها توجيه مفهوم الدين في الاتجاه الخطأ، وليست المرة الأولى في التاريخ التي يجب فيها على ضحايا الأحكام المسبقة أن يدركوا أن الأفكار الخاطئة عنهم لن تزول من تلقاء نفسها، بل يجب عليهم أن ينهضوا ويتحدثوا عن مفاهيمهم الحقيقية عن الحياة والدين، وعن الثقافة والسلام والأمن في العالم. ولكن الكلام لا يكفي، بل لا بد من العمل بطريقة مقنعة، بحيث يكون ما يتحدثون عنه من إيمان ومواعظ وتعاليم، واقعا عمليا يمارسونه في حياتهم. وإن الأسوة الحسنة أقوى من ألف كلمة تقال في موعظة فارغة.

في الحقيقة، يجب علينا نحن المسلمين أن نعترف بوجود بعض الرجال غير المسؤولين بيننا، من الذين يُلحِقون بتصرفاتهم الأذى بالإسلام والمسلمين، وهم يظنّون أنهم يخدمون الإسلام والمسلمين، لأنهم يفعلون ذلك بطريقة لا أحد يفهمها ولا يمكن لأحد أن يقبل بها. إنهم ينشرون مفاهيم خاطئة عن الإسلام والمسلمين بطريقة نحتاج

معها لأجيال وأجيال يعملون بجد واجتهاد لتصحيحها. إن الظلم الذي يقع علينا لا يعطينا الحق بأن نكون ظالمين. والله سبحانه وتعالى يدعو المسلمين إلى تعزيز السلم وتحقيق العدالة حتى مع أعدائهم، عسى أن يغيّر ذلك قلوبَهم ويحولَهم إلى أصدقاء:

{ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم} (فصلت: ٣٤).

هذا هو مفهوم الأمان و العهد في الإسلام – جعلُ جميع الناس يشعرون بأنهم أصدقاء فيما بينهم، وخاصة في مجتمع متعدد الثقافات والأديان والأعراق واللغات، كما هو الحال في المجتمع العالمي اليوم.

إن موضوع العهد والأمان ودار الإسلام من أهمّ الموضوعات التّي يجب على علماء المسلمين أن يتناولونها بعناية بالغة لأنّ "مفهوم العهد ومفهوم الأمان ودار الإسلام" ليس أمراً مقيّدًا بزمن واحد أو بجيل معيّن، بل هو لكل الأزمنة ولجميع الأجيال، أن يهتمّ به لأن في مفهومه يتبلور تصوّرنا لرؤية العالم والعيش فيه بموجب المذاهب الفقهيّة التجارب المعاصرة.

هذا، فقد سررت بالاقتراح بأن أكتب بحثي هذا وبهذه المناسبة السنويّة الفريدة الّتي بادرت بها سلطنة عُمان عن طريق وزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة، للكتابة في هذا الموضوع من منطلق فهمي الإسلامي وتجربتي الأوروبيّة المعاصرة. في الحقيقة، فإنّ معنى "العهد والأمان ودار الإسلام" يدور في ذهني منذ زمن طويل وذلك في سياق تحدّيات الإسلام والمسلمين في أوروبا الّتى يعرّفها البعض بأنّها "دار حرب" والآخرون يقولون إنّها "دار إسلام" أو ما شابه ذلك. إنّه لشرف عظيم لي بأن أحدّثكم في هذا المقام عن هذا الموضوع فأقول: إنّ أوروبا ليست "دار إسلام"، لكنّها ليست "دار حرب"، بل هى "دار عقد" أي أوروبا هى "دار العقد الاجتماعي على أساس المبادئ التي يقبل

بموجبها الأفراد الأحرار العاقلون. وهم يرغبون بتحقيق مصالحهم الذاتية. نقطة الانطلاق المتمثلة بالمساواة على أنها تحديد للنقاط الأساسية لتضامنهم".

إذن، سأحاول، إنشاء الله، في هذا البحث أن أوضح الفرق بين معنى العهد والعقد وسأعرض أصول الأمان في الإسلام وسأقدم رؤيتى لمفهوم دار الإسلام في سياق الحياة الأوروبيّة السياسيّة والثقافيّة للمسلمين الأوروبيّين في الحاضر والمستقبل.

**فضيلة الدكتور مصطفى تسيريتش**

**رئيس العلماء والمفتي العام**

بدولة البوسنة والهرسك

(سيرة علمية وعملية)

## المولد والتحصيل العلمي

- ولد فضيلة الدكتور مصطفى تسيريتش Dr. Mustafa Cerić من أب إبراهيم Ibrahim وأم جميلة Džemila في ٥ فبراير سنة ١٩٥٢ م، في مدينة فيسوكو، بالبوسنة الهرسك.
- متزوج من السيدة عذراء بنت عبد العزيز، وله ابنتان آمنة وعادلة، وابن اسمه كمال.
- أنهى دراسته الثانوية في مدرسة الغازي خسرو بيك الثانوية الإسلامية في سراييفو سنة ١٩٧٤ م.
- التحق بجامعة الأزهر حيث تخرج من كلية اللغة العربية الشعبة العامة سنة ١٩٧٨م.

- حصل في عام ١٩٨٧ م، على درجة الدكتوراه في الفلسفة (Ph.D.) في جامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية وكان موضوع رسالة الدكتوراه "الأصول الأساسية للوصول إلى عقيدة أهل السنّة والجماعة عند الإمام أبي منصور الماتوريدي".

## المهام والمناصب

- (١٩٨١-١٩٨٥) عمل أربع سنوات في شيكاغو إماما في مركز (نورث بورغ) الإسلامي الثقافي، وأستاذا محاضـــرا في المعهد الأمريكي الإسلامي.
- (١٩٨٦) شغل منصب كبير الأئمة في المركز الإســـلامي الثقافي في زاغرب.
- بعد ذلك بعام واحد بدأ يدّرس في كلية الدراسات الإسلامية في سراييفو، وما يزال يدرس فيها إلى يومنا هذا.
- (١٩٩١-١٩٩٢) أستاذ زائر ونظامي في المعهد الدولي للفكر والحضارة الإسلامية في مدينة كوالا لمبور عاصمة ماليزيا.
- منذ ٢٨ أبريل ١٩٩٣ – ١٥ نوفمبر ٢٠١٢، شغل منصب رئيس العلماء والمفتي العام في البوسنة والهرسك.

## المؤلفات والأبحاث

- له الكثير من المؤلفات باللغتين البوسنية والإنكليزية. منها مؤلفان باللغة الإنكليزية أصدرهما في كوالا لمبور: ("A Choice BetweenWar and Paece"، ١٩٩٢)، و("Roots of Synthetic Theology in Islam"، ١٩٩٥)، بالإضافة إلى كتاب "الإسلام والغرب ــ Islam and West" الذي صدر في سراييفو. ومن كتبه أيضا

نذكر كتاب "الدين والشعب والوطن"، بالإضافة إلى بيان المسلمين الأوروبيين باللغات العربية والبوسنية والإنكليزية.

- كان وما يزال ينشر أبحاثه ومقالاته في صحيفة "Preporod – البعث الإسلامي"، و مجلة "Glasnik – البلاغ" وهي الجريدة الرسمية للمشيخة الإسلامية في البوسنة والهرسك.
- قبل توليه منصب رئيس العلماء والمفتي العام، شارك في العديد من المؤتمرات الدولية في كل من شيكاغو وكوالا لمبور.

## النشاطات والمشاركات الدولية

- كان عضوا في الوفد الرئاسي الرسمي للبوسنة والهرسك الذي زار المملكة العربية السعودية والجمهورية الإسلامية الإيرانية، كما كان ممثلا رسميا لحكومة جمهورية البوسنة والهرسك ومبعوثا خاصا للرئيس علي عزت بيغوفيتش في ماليزيا (١٩٩٢).
- بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م، شارك مع وفد رابطة العالم الإسلامي برئاسة معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، وقد قام الوفد بجولة زار فيها العواصم وكبرى المدن في كل من بلجيكا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية، وكانت تلك الجولة غنية بالمحاضرات والحوارات البناءة مع القيادات الثقافية والسياسية والدينية وكان هدفها معالجة القضايا المثارة ضد الإسلام والمسلمين، وإزالة الشبهات حول الإسلام.
- يشارك بصفته رئيس العلماء والمفتي العام، في الكثير من المؤتمرات الدولية وخاصة المتعلقة بالحوار بين الأديان والحضارات والثقافات، داخل البوسنة

والهرسك وخارجها، منها: **منتدى أمريكا والعالم الإسلامي في الدوحة، ومنتدى الدوحة للديمقراطية والتجارة الحرة، والمؤتمر الاقتصادي الدولي في دافوس ونيويورك**، ومؤتمر "**موقف الإسلام من الإرهاب**" الذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض من ٢٠-٢٢ أبريل ٢٠٠٤ م، و"مؤتمر الأمن الدولي ومكافحة الإرهاب" في فيينا، وأيضا في مدينة أسيسي الإيطالية في يوم الصلاة العالمي من أجل السلام، وعدد من دورات مؤتمر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة.

## الأعمال والعضوية في المحافل والمؤسسات الإسلامية الدولية

- عضو المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة.
- عضو مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي بالمملكة الأردنية الهاشمية.
- عضو المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث ومقره في دبلن.
- عضو مؤسس للمؤتمر الإسلامي الأوروبي EIC، ومقره في باريس.
- عضو مجلس أمناء الجامعة الإسلامية الدولية في إسلام أباد.
- عضو المجلس العالمي للدعوة الإسلامية.
- عضو مجلس الحوار بين الأديان في البوسنة والهرسك.
- عضو المجلس التنفيذي لإنشاء النصب التذكاري لضحايا سريبرينيتسا – بوتوتشاري في سراييفو.
- رئيس اللجنة الشرعية لبنك (Bosna Bank International) في سراييفو.
- عضو اللجنة الدائمة المؤلفة من ١٠٠ من الشخصيات الدينية البارزة ورجال الأعمال والحكومات والإعلام والعلوم والمنبثقة عن المنتدى الدولي الاقتصادي في دافوس.

- رئيس فخري لمؤتمر WCRP (المؤتمر الدولي للأديان والسلام) في نيويورك.
- مقرر مساعد لمؤتمر WCRP ECRL (المؤتمر الأوروبي للقيادات الدينية).

**إتقان اللغات**

يتقن بامتياز اللغات البوسنية والعربية والإنكليزية.

**بعض الجوائز الدولية التي حاز عليها:**

حصل فضيلته على العديد من الجوائز المحلية والدولية، منها

- جائزة اليونسكو للسلام لعام ٢٠٠٣ م.
- جائزة سير شتينبرغ التي منحه إياها المجلس العالمي للمسيحيين واليهود نظيرا لإسهاماته الكبيرة للتفاهم بين الأديان.
- جائزة ثيودور هويس Theodor Heuss لعام ٢٠٠٧، لإسهامه في نشر الديمقراطية والتشجيع عليها.
- جائزة الملك عبد الله الأول بن الحسين العالمية، لعام ٢٠١٠.
- جائزة مؤسسة "دوتشي" الإيطالية للسلام، لعام ٢٠١٢، لجهوده في التشجيع على الحوار ونشر السلام بين الأديان والثقافات.